# د. مظهر محمد صالح *: التراكم الرأسمالي والمساواة الاقتصادية: من روزا لكسمبورغ الى توماس بيكتي

## ١- تمهيد: جدل في تاريخ الفكر الاقتصادي للرأسمالية

أ-الاشتراكية ام البربرية :

اولاً: أثارت الشخصية اليسارية الاقتصادية روزا لوكسمبورغ Rosa Luxemburg 1919-1871شعار ( الاشتراكية ام البربرية socialism or barbarism ) بالقول ان البشرية واجهت الاختيار بين انتصار الاشتراكية ونهاية الحضارة في كتيب قوي مناهض للحرب العالمية الاولى كتبته وهي في السجن في العام 1915 حول الأزمة في الاشتراكية الديموقراطية الألمانية - وهو المعروف باسم (كتيب جونيوس Junius pamphlet ) وهو اسم مستعار للكتيب نفسه ، ذلك لتجنب الملاحقة القضائية - اذ ادت من خلاله دورًا رئيساً في تثقيف وتنظيم معارضة يسارية ثورية للقيادة المؤيدة للحرب العالمية الاولى في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني نفسه ، ذلك بنقد كارل كاوتسكي Kautsky ووضعه بخيار : اما السير نحو الاشتراكية او (التقهقر )نحو البربرية .كما ان الشعار آنفا قد استخدمه كاوتسكي نفسه في كتاباته في العام 1892 بعنوان مماثل تمامًا وهو (( أما السير نحو الاشتراكية او (التراجع ) نحو البربرية )) ثم استخدمته روزا لكسمبورغ بالضد منه. وبالرغم من ذلك فقد نسبت لوكسمبورغ شعار (الاشتراكية ام التقهقر الى البربرية socialism or barbarism )إلى أحد مؤسسي الاشتراكية الحديثة وهو الفيلسوف الالماني فريدريك انجلس ( 1820 –1895) الذي ناشد البشرية وطلب منها ان تختار بين الرأسمالية والاشتراكية. والذي أدرك بشكل مبكر كيف نمت الرأسمالية وانتشرت من مركزها الاوروبي الى بقية انحاء العالم عن طريق الحروب الظالمة.

اذ نسبت لوكسمبورغ المفهوم إلى فردريك انجليس حين قال ذات مرة على حد قول لكسمبورغ:

"ان المجتمع البورجوازي يقف على مفترق طرق، إما الانتقال إلى الاشتراكية أو الانحدار إلى البربرية او الهمجية. "... حتى الآن كما تقول لكسمبورج، ربما قرأنا جميعًا وكررنا هذه الكلمات دون تفكير، وبدون الشك في جديتها المخيفة. نواجه اليوم الخيار تمامًا كما توقعه فريدريك انجلس منذ جيل مضى: إما انتصار الإمبريالية وانهيار كل حضارة كما في روما القديمة، وهجرة السكان، والخراب، والانحطاط - كمقبرة عظيمة. أو انتصار الاشتراكية، وهو ما يعني النضال النشط الواعي للبروليتاريا العالمية ضد الإمبريالية وأسلوبها في الحرب.

هكذا انذر الفيلسوف الالماني فريدريك انجلس (1820 –1895) البشرية وخيرها بين الرأسمالية والاشتراكية. اذ انه أدرك كيف نمت الرأسمالية وانتشرت من مركزها الاوروبي الى بقية انحاء العالم عن طريق الحروب الظالمة.

ثانياً: كان كتيب جونيوس (بالألمانية: Juniusbroschüre) نصًا كتبته روزا لوكسمبورغ في عام 1915 عندما كانت في السجن كما ذكرنا آنفاً، كمعارضة ضد وحشية الحرب العالمية الأولى. اذ كان العنوان الفعلي للعمل هو أزمة الديمقراطية الاجتماعية الألمانية (بالألمانية: Die Krise der Sozialdemokratie) لكنها استخدمت الاسم المستعار "جونيوس" لتجنب الملاحقة القضائية، وأصبح هذا أساس الاسم الشائع للعمل. اذ يبدو أن اسم "جونيوس" كان إشارة إلى لوسيوس جونيوس بروتوس ، بطل الجمهورية الرومانية. كما ردد الاسم المستعار اسمًا يستخدم للتوقيع على الجدل السياسي ضد الملك جورج الثالث ملك إنجلترا، والمعروف باسم رسائل جونيوس.

ثالثاً: عدت روزا لوكسمبورغ الاشتراكية واحدة من الحريات السياسية والاجتماعية، ولهذا دخلت صراعا فكريا مع لينين وتروتسكي بعد انتصار ثورة أكتوبر1917. حيث كتبت في أيلول 1918 قائلةً: " لقد ميزنا دائمًا الجوهر الاجتماعي عن الشكل السياسي للديمقراطية البرجوازية، وكشفنا دائمًا عن الجوهر المرير لعدم المساواة الاجتماعية وانعدام الحرية في قشرة جميلة من المساواة الشكلية والحرية - ليس لرفضهما، ولكن لتحريض الطبقة العاملة على عدم الاكتفاء بالقشرة، بل أكثر بكثير الاستيلاء على السلطة السياسية لملئها بمحتوى اجتماعي جديد". (وتقصد الثورة الروسية).

رابعاً: كانت خشية روزا لوكسمبورغ الأكثر من أن تؤدي ممارسة السلطة الى افراغ فكرة الاشتراكية من أهم معانيها: في إمكانية أن تصبح بديلاً للقمع والاستغلال والانحطاط. اذ لا يمكن ادخال الاشتراكية من الباب الخلفي، حتى في صمت مقبرة دكتاتورية، وحتى ولو كانت "يسارية"، لا يمكن تطوير الاشتراكية. يجب أن تكون الاشتراكية مطلوبة من قبل الأغلبية، ومن ثم فهي مسألة مرتبطة بتوفير دعم أوسع من أوساط الراي العام. ولا يمكن أن تتطور جاذبيتها إلا في الصراع العام. ففي الثورات، لم تكن الأحزاب الثورية هي الفاعل، بالنسبة لروزا لوكسمبورغ، بل الجماهير وحدها هي التي تستطيع تغيير المجتمع نحو الاشتراكية. وهنا شكلت الديمقراطية الأساس الذي لا بديل عنه. وعند روزا لوكسمبورغ لا يمكن فرض الاشتراكية، لأنها تشترط الحرية مسبقا، والتي لا يمكن ان تأتي من الأعلى، بل يجب ان تكون مطلوبة من الأدنى.

وفي قلب مقاربتها السياسية وضعت هنا روزا لوكسمبورغ البديل: "الاشتراكية أو البربرية" التي عبر عنها ماركس مرارًا وتكرارًا في حواراته مع المجاميع التي تحيط به. إذا لم يجد الجنس البشري طريقة للخروج من هيمنة الربح، فإنه سيسقط بلا أمل في البربرية. وهكذا فبعد حربين عالميتين، وفشل اشتراكية الدولة، وتعرض نمط الإنتاج الرأسمالي، بشكل متزايد لفشل واضح، يمكن الاستفادة من الأفكار الأساسية للكسمبورغ، في خلق الحرية السياسية والاجتماعية، والتفكير في المجتمع والطبيعة معًا، لتطوير السمات الأساسية لمجتمع بديل.

ب- روزا لكسمبورغ والتراكم الرأسمالي.

يشير تراكم رأس المال إلى زيادة الأصول او الموجودات من الاستثمارات أو الأرباح وهو أحد اللبنات الأساسية للاقتصاد الرأسمالي والهدف منه هو زيادة قيمة الاستثمار الأولي كعائد على الاستثمار نفسه ، سواء كان ذلك من خلال ارتفاع قيمة تقدير الاصول أو الإيجار ( الريع) أو مكاسب رأس المال او الفائدة .

نشرت روزا لكسمبورغ كتابها الاول الذي عد العمل الاكاديمي الوحيد الذي قدمته حول الاقتصاد في حياتها ذلك في العام 1913 و اطلقت عليه : تراكم راس المال -مساهمة في التفسير الاقتصادي للإمبريالية - The Accumulation of Capital: A Contribution to an Economic Explanation of Imperialism

وانطلقت لكسمبورغ في جدليتها حول تراكم راس المال من اسس فكرية جوهرية مفادها:

ان الرأسمالية تحتاج إلى التوسع المستمر في المناطق غير الرأسمالية من أجل الوصول إلى مصادر إمداد جديدة، وأسواق فائض القيمة و خزين العمل، فحسب راي لوكسمبورغ، ان ماركس قد أخطآ في موضوع رأس المال من حيث أن البروليتاريا لا تستطيع شراء السلع التي انتجتها، وبمعاييره الخاصة كان من المستحيل على الرأسماليين تحقيق ربح في نظام رأسمالي مغلق في الطلب على السلع. لذا سيكون الطلب منخفض للغاية ومن ثم لا يمكن تحويل الكثير من قيمة السلع إلى أموال. وفقًا للوكسمبورغ، يسعى الرأسماليون إلى جني الأرباح من خلال تفريغ فائض السلع في الاقتصادات غير الرأسمالية، ومن هنا جاءت ظاهرة الإمبريالية حيث سعت الدول الرأسمالية للهيمنة على الاقتصادات الأضعف، اذ أدى ذلك إلى تدمير الاقتصادات غير الرأسمالية حيث تم استيعابها بشكل متزايد في النظام الرأسمالي. وتقول: انه مع تدمير الاقتصادات غير الرأسمالية، لن يكون هناك المزيد من الأسواق لتفريغ فائض السلع مما سيؤدي الى انهيار الرأسمالية.

ومن ذلك تعرض موضوع تراكم رأس المال لانتقادات شديدة من قبل الاقتصاديين الماركسيين وغير الماركسيين على أساس أن منطقها كان دائريًا في إعلان استحالة تحقيق الأرباح في نظام رأسمالي وثيق وأن نظريتها حول نقص الاستهلاك كانت قاسية جدًا. وهكذا كان استنتاجها بأن حدود النظام الرأسمالي ومحدداته دفعته إلى الإمبريالية والحرب وهو ما قاد لوكسمبورغ نفسها إلى حياة من النضال ضد العسكرة والاستعمار.

اذ تتحدث لكسمبورغ عن عواقب نمط الإنتاج الرأسمالي بالقول:

" كلما شاركت البلدان الرأسمالية في عمليات اصطياد مناطق التراكم، كلما ازدادت ندرة المناطق غير الرأسمالية التي لا تزال مفتوحة أمام التوسع العالمي لرأس المال، وكلما ازدادت حدة المنافسة بين رؤوس الاموال للهيمنة على مناطق التراكم هذه، وتحولت غزواته على المسرح العالمي إلى سلسلة من الكوارث الاقتصادية والسياسية: أزمات عالمية، حروب وثورات"

## ٢- توماس بيكتي Thomas Piketty: التراكم الرأسمالي والمساواة في الدخول والثروات .

في كتابه الصادر عن جامعة هارفرد بعد ترجمته من الفرنسية في العام 2021 والموسوم : موجز تاريخ المساواة - A Brief History of Equality يرى عالم الاقتصاد توماس بيكتي أن متوسط العمر المتوقع للإنسان ازداد على مدى القرنين الماضيين من ستة وعشرين عاماً إلى اثنين وسبعين، وأن صحة الإنسان "أفضل في الوقت الراهن مما كانت عليه في أي وقت سابق، والتعليم والثقافة متاحان أكثر من ذي قبل". وعلى الرغم من التفاوتات الكبيرة التي لا تخفى على بيكتي في رفاهية الفرد سواء داخل المجتمعات الصناعية المتقدمة أو بين شمال العالم وجنوبه، فإن قراءته لتاريخ القرن الماضي تسمح له بالذهاب إلى أن تفاوتات القرن الحالي يمكن أن تتقلص وأن الفجوة السحيقة بين أثرياء العالم وفقرائه يمكن أن تضيق، وذلك من ناحية "ان المسيرة باتجاه المساواة بجميع أشكالها امست قهرية ولا يمكن صدها، ومن ناحية أخرى ان أجيال الإصلاحيين الماضية أضاءت طريق لم يزل نوره ممتداً أمامنا.

وان Piketty الذي اشتهر بكتابه ( راس المال في القرن الحادي والعشرين Capital in the Twenty-First Century ) الصادر في العام 2013 والذي عد الكتاب الاول بعد كتاب كارل ماركس :،راس المال Das Capital ، اذ بلغ ذروة نظريته في اثبات أطروحة :أنه عندما يكون معدل العائد على رأس المال (r) أكبر من معدل النمو الاقتصادي (g) على المدى الطويل ، تكون النتيجة هي تركيز الثروة ، وهذا التوزيع غير المتكافئ للثروة يسبب عدم استقرار اجتماعي واقتصادي. لذا أقترح بيكتي نظامًا عالميًا لضرائب الثروة التصاعدية للمساعدة في تقليل عدم المساواة وتجنب وقوع الغالبية العظمى من الثروة تحت سيطرة أقلية صغيرة.

وبالرغم مما تقدم، فان بيكتي اصدر في نهاية عام 2014 ، بحثًا ذكر فيه أنه لا يعد العلاقة بين معدل العائد على رأس المال ومعدل النمو الاقتصادي الأداة الوحيدة أو الأساسية للنظر في التغيرات في عدم المساواة في الدخل والثروة. مشيراً الى أن r> g ليست أداة مفيدة لمناقشة زيادة عدم المساواة في دخل العمل.

اذ يرى بيكتي في كتابة موجز تاريخ المساواة A brief history of equality المشار اليه آنفاً ان ثمة تفائل في موضوع المساواة حيال المستقبل مركزا بصفة خاصة

على الثورة التي قامت بها القوى الليبرالية واليسارية في الغرب الصناعي في ما بين 1910 و1980، إذ أقامت المجتمعات الغربية على مدى هذه العقود دول رفاه welfare states قوية، واستثمرت بشدة في التعليم وغيره من الخدمات العامة، وضيقت تضييقاً ملموساً ما بين الأثرياء والفقراء من تفاوت اقتصادي ـ وكل ما يترتب عليه من تفاوتات في فرص الحياة المختلفة. وهذا ما يطلق عليه بيكتي "الثورة الأنثروبولوجية" التي تمثل في رأيه انتصاراً للديمقراطية الاشتراكية.

ويرى أن الضرائب كانت الأداة المحورية لهذه الثورة، إذ ارتفع العائد الضريبي في البلد تلو الآخر من عشرة في المئة من إجمالي الدخل الوطني سنة 1910 إلى ما بين 30 و40 في المئة بحلول العقود الوسطى من القرن العشرين. وكانت الأنظمة الضرائبية أداة شديدة التقدمية وعظيمة القدرة على إعادة توزيع الثروة، بل كانت الولايات المتحدة نفسها رائدة هذا الطريق بفرضها أعلى معدل ضريبي بلغ متوسطه 81 في المئة على أصحاب الدخول العليا خلال الفترة من 1932 و1980. ومع ذلك يطعن كاتب اقتصادي مثل ( أليسن شريغر )في ما يقوله بيكيتي عن دور الضرائب في إعادة توزيع الثروة في الولايات المتحدة ويعتبره مثالاً فادحاً للتناقض بين بيكيتي والكثير من الأبحاث العلمية الراسخة.

وهنا لابد من الاشارة بان الماركسيين الاوربيين " قد تذكروا الرأسمالية مجدداً بعد الانهيار الذي حصل في المنظومة الاشتراكية منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، فتحولت الرأسمالية عند بعضهم من كونها الشر المطلق إلى كونها الخير المطلق، ومن ثم امست الخيار الوحيد أمام الشعوب، ليصبحوا دعاة أشداء لها، يجهرون في بزّ كل من "يتلعثم" حول الاشتراكية، ويصدرون فتاوي بحق كل من يدافع عنها متهمينه بالجمود العقائدي و"الستالينية"..الخ، رغم أن ستالين هو "الأب الروحي" لهم، فهم ببساطة يأخذون بمنهجه. وهذه ليست المرة الأولى التي ينزع فيها بعض الماركسيين إلى الدعوة للرأسمالية، إنما يتضح من دراسة تاريخ الماركسية أنه كلما مرت بأزمة "ينهض" بعض من الماركسيين يدعون للرأسمالية صراحة أو مداورة وانطلاقاً من فكرة أن الرأسمالية لم تستنفد طاقاتها بعد (هذه هي فكرة بيرنشتاين Bernstein وليس غريباً أن يطرح أصحاب هذا الاتجاه اليوم أفكار بيرنشتاين ذاتها، لكنها كذلك فكرة الأممية الثانية. وليس غريباً أن نجد صلة واضحة بين هؤلاء وستالين من خلال الفهم الاقتصادوي للماركسية). ولقد فسرت الماركسية هذا النزوع بـ"نشوء ارستقراطية الطبقة العاملة، المستفيدة من فتات الرأسمالية"، ولقد انهزم هذا الاتجاه في إطار الماركسية وتحولت أحزابه إلى أحزاب رأسمالية، رغم أن بعضها لا زال يحمل اسم الاشتراكية (أحزاب الاشتراكية الدولية).

ادهشني مقطع للكاتب اليساري المصري حاتم بشر وهو يصف اليسار السائد في اوروبا حاليا باليسار الوردي pink leftists ( اذ يعد حاتم البشر احد اهم الكتاب العرب في موضوع الاقتصاد السياسي للرأسمالية من خلال مدرسة سمير امين )بالقول :

انه اليسار المنشغل في الهويات والجندر وحقوق الفراشات وبأي الضمائر ننادي المخنثين ب«هي» أم «هو»؟! اليسار المتسطح في الثانويات، المتخلي عن الأساسي والجوهري. ويسميه يسار الانتصارات الرمزية والهزائم المادية. عنوانه التمرّد الخاضع. وهو عنوان مستلهم من إحدى مناظرات لينين استخدم خلالها تعبير "التمرد على الركبتين"! ليصف الزمرة الثائرة ظاهريا الراكعة في الواقع والحمراء من الخارج البيضاء من الداخل.!!!!

## ٣- موقف المفكر سمير امين من فرضية التراكم الرأسمالي و المساواة equality لدى توماس بيكتي :

أ-إبتداءً يقترب المفكر الماركسي سمير أمين في اطروحته التي تضمنها كتابه الشهير : التراكم على الصعيد العالمي المنشور تحت عنوان :

Amin, S. (1974) Accumulation on a World Scale: A Critique of the Theory of Underdevelopment (New York: Monthly Review Press)

من اطروحة روزا لكسمبورغ في كتابها التراكم الرأسمالي -مساهمة في التفسير الاقتصادي للإمبريالية الذي سبق ذكره - The Accumulation of Capital: A Contribution to an Economic Explanation of Imperialism / 1913 ، ذلك عندما اظهر سمير امين : كيف تتدفق الموارد من دول الأطراف لإثراء بلدان المركز من خلال عملية أطلق عليها في كتاباته الاخيرة 2014 والتي سماها "الريع الإمبريالي 'Imperialist Rent' فعندما تغير النظام الرأسمالي في السبعينات، تتبع أمين هذه التغيرات على المستويين التجريبي والنظري. وفي هذه الفترة كتب كتابه فك الارتباط: نحو عالم متعدد المراكز (1985) وعززها بكتابه: إنهاء أزمة الرأسمالية أم إنهاء الرأسمالية؟

والذي دعا فيه إلى فك ارتباط دول الأطراف عن أجندات التنمية والضغوط التي تمارسها دول الرأسمالية. منوها بان الرأسمالية تعاني من أزمة بنيوية. ففي منتصف السبعينيات، انخفضت معدلات نمو المراكز الرأسمالية المتقدمة – الولايات المتحدة وأوروبا واليابان – إلى نصف ما كانت عليه في الثلاثين سنة الماضية. ولم تتعافى أبداً منذ ذلك الحين. هذا يعني أن الأزمة تستمر وتتعمق من عام لآخر. والتصريحات بأننا نتحرك للخروج من الأزمة لأن معدل النمو في ألمانيا أو في أي مكان آخر، يرتفع من 1.2٪ إلى 1.3٪، وهنا يلتقي سمير امين مع روزا لكسمبورغ في موضوع (الحرب والازمة العامة للرأسمالية) عندما يقول:

وصلنا إلى النقطة التي انتقلت فيها الرأسمالية إلى الانحدار.

اذ يشكل الانحدار لحظة خطيرة للغاية، ولن تنتظر الرأسمالية موتها بهدوء، بل سوف تتصرف بشكل أكثر وحشية من أجل الحفاظ على موقعها، من أجل الحفاظ على التفوق الإمبريالي للمراكز. هذا هو جذر المشكلة. ولا أعرف ماذا يعني الناس عندما يقولون – "مخاطر الحرب أصبحت أكبر من أي وقت مضى". لقد بدأت الحرب في عام 1991، مباشرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وقد كانت حرب العراق في عام 1991 أولى الطلقات، وأدى انهيار يوغوسلافيا بين 1991 و2001 إلى جلب هذه الحرب إلى أوروبا.

الآن، في رأيي كما يقول سمير امين في حديثه مع ((معهد القارات الثلاثة قبل وفاته في العام 2018 حديث مطول تحت عنوان : العولمة وبدائلها tri - Continental )) بدأ النظام الأوروبي نفسه ينهار، ويمكن ملاحظة ذلك ليس فقط في النتائج السلبية لسياسات التقشف. إنها سلبية بالنسبة للناس فحسب،

ولكنها سلبية أيضاً للرأسمالية لأنها لا تسترجع النمو، أي النمو الإمبريالي. ولا تستعيد سياسات التقشف هذا النمو، ولا تستجيب الردود السياسية لهذه السياسات – سواء في عملية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أو في نظام التقشف في إسبانيا أو من الحكومات الشوفينية المتطرفة في أوروبا الشرقية – للتحديات الحقيقية للنظام. ولا يمكننا مناقشة كيفية منع الحرب، فالحرب والفوضى منقوشتان في منطق هذا النظام المتحلل.

ويوكد امين في مقاله بعنوان "عودة الفاشية في الرأسمالية المعاصرة" (Monthly Review، أيلول 2014) بالحجة بأن أزمة الرأسمالية المعاصرة تخلق ظروفاً خصبة لعودة الفاشية في العالم الحالي. هذا تؤكده اليوم ظهور قوى يمينية مختلفة في أنحاء متعددة من العالم الرأسمالي (والتي دشنتها الانتخابات الايطالية الاخيرة والنزعات اليمنية الحالية في محور باريس -برلين).

ب- توماس بيكتي Pekitty وسمير امين وجدلية اللامساواة:

ان واحدة من أهم الظواهر المقلقة للعولمة النيولبرالية هي تزايد اللامساواة. لقد وثق اقتصاديون أمثال (توماس بيكيتي pekitty وآخرون) حجم اللامساواة على أرض الواقع اذ يقول بيكتي أن فرض ضريبة شاملة على الثروة أو الضريبية التصاعدية هي الآلية التي يمكن من خلالها وقف اللامساواة. وعندما سؤل سمير امين هل أن هذا الحل ممكن في ظل النظام الرأسمالي؟ اجاب: إن هذه البيانات صحيحة، أو على الأقل أفضل ما يمكن العثور عليه. لقد نمت (اللامساواة ) بشكل سريع جداً خلال السنوات الخمسين الأخيرة. ومع ذلك لا تزال التحليلات التي قدمها أصحاب هذه البيانات والأفكار ضعيفة على أقل تقدير. وان حقيقة اللامساواة تنمو في كل مكان هي بحاجة إلى تفسير، وهل هناك سبب واحد لذلك؟ هل نمط اللامساواة المتزايد متماثل في جميع البلدان؟ وإذا لم يكن كذلك، فهل هناك أنماط مختلفة من اللامساواة وما سبب ذلك؟

هذه التقارير حول اللامساواة لا تقدم تمييزا ضرورياً بين (1) حالات اللامساواة المتزايدة التي تترافق مع النمو في الدخل لجميع السكان و(2) حالات اللامساواة المصحوبة مع إفقار غالبية السكان. فالمقارنة بين الصين والهند أمر مهم للغاية. يقول سمير امين ففي الصين كان النمو في الدخل حقيقة واقعة لغالبية السكان، حتى لو كان هذا النمو أعلى بكثير بالنسبة للبعض مما كان عليه بالنسبة لغالبية السكان. وعليه، فإن اللامساواة المتزايدة في الصين كانت مصحوبة مع انخفاض في الفقر. ولكن ليس هذا هو الحال في الهند والبرازيل ومعظم دول الجنوب.

في هذه الدول، لم يستفد من هذا النمو- والنمو المرتفع جداً في بعض الحالات- سوى أقلية من السكان. (من واحد في المائة في بعض الحالات مثل غينيا الاستوائية إلى عشرين في المائة في حالات أخرى مثل الهند). لم يخدم هذا النمو غالبية السكان، والذين يعانون بالفعل من الفقر المدقع. بعض المؤشرات غير كافية وحدها لإظهار الفروقات بين هذين السيناريوهين. والمعامل الجيني Gini coefficient أحد

المؤشرات غير الشاملة، فقد يكون لدى الهند والصين نفس المعامل الجيني، ومع ذلك فإن المعنى الاجتماعي لنفس الظاهرة-اللامساواة المتنامية- يختلف كثيراً.

ويرى سمير امين في بيكتي بالقول: إن بكيتي وآخرون ممن يكتبون عن اللامساواة الاجتماعية جميعهم من الاقتصاديين الليبراليين. وهذا يعني أنهم لا يثيرون قضيتين اعتقد انهما حاسمتان:

* هم يؤمنون بفضيلة السوق الحرة المفتوحة التي تنظمها الحكومة بأقل قدر ممكن.

* إنهم يعتقدون أنه لا يوجد بديل لنمط العولمة المفتوحة التي تسمح بحرية حركة رأس المال من بلد إلى آخر. وهذا، بالنسبة لهم، هو الشرط المسبق للتنمية العالمية. بل يعتقدون أن البلدان الفقيرة ستلحق في نهاية المطاف بالبلدان الأكثر تقدماً نتيجة لهذا النوع من العولمة. هؤلاء العلماء هم في أحسن الأحوال "إصلاحيون" مثل عالم الاقتصاد الامريكي جوزيف ستيجليتز Stiglits،

* ادهشني شخصيا تعقيب للناطقة باسم الكرملين زخاروفا قبل ايام وهي تتحدث عن تقرير للنجاحات الاقتصادية للاتحاد الاوربي بالقول : "يتقلب ماركس وانجليس في قبريهما، ويريان كيف تعيش اقتصادات السوق الليبرالية على الإعانات والدعم الحكومي، فيما تستفيد البيروقراطية الأوروبية من ذلك. لقد وصف كارل ماركس جوهر الاتحاد الأوروبي في بروكسل بدقة منذ ما يقرب من قرنين من الزمان: البيروقراطية تمتلك الدولة.. إنها ملكيتها الخاصة".

وختمت زاخاروفا منشورها: "في كلمة واحدة: إنه رأس المال. نسخة ما بعد الحداثة".

## ٤- اخيراً ،اللامساواة على الصعيد العالمي .

على الرغم من أن العولمة قد قللت من عدم المساواة العالمية (بين الدول) نسبياً، الا انها زادت من عدم المساواة داخل الدولة الواحدة. بلغ التفاوت تاريخياً في الدخل بين الدول ذروته في سبعينيات القرن الماضي ، عندما توزع الدخل العالمي حينها بشكل ثنائي على البلدان "الغنية" و "الفقيرة". فمنذ ذلك الحين ،اخذت مستويات الدخل عبر البلدان حالة من التقارب ، اذ يعيش معظم الناس الآن في البلدان ذات الدخل المتوسط. ومع ذلك ، فقد ارتفعت حالة عدم المساواة داخل معظم الدول بشكل ملحوظ في الثلاثين عامًا الماضية ، لا سيما بين الدول المتقدمة. ففي هذه الفترة ، شهد ما يقرب من 90 في المائة من الاقتصادات المتقدمة زيادة في عدم المساواة في الدخل ، وسجل أكثر من 70 في المائة زيادة في معاملات جيني الخاصة بهم والتي تتجاوز نقطتين.

كما تشير الدراسات التي اطلقها معهد ( الاشتراكية ام البربرية socialism or Barbarism ) في المركز الاوروبي .

## ٥- ختاماً، أمران يقلقان حالة المساواة على الصعيد العالمي :

الاول: ان النصف السفلي من سكان الارض the half bottom of world population الذين يقرب عددهم من اربعة مليارات من البشر لا تساوي ثرواتهم الا ثروة 64 ثري حول العالم ونصفهم من الامريكان. ويقصد هنا بالنصف السفلي من سكان الارض هم أولئك الذين انخفضت لديهم توقعات الحياة والموت المبكر ذلك لانعدام الخدمات الصحية المنقذة للحياة استنادا الى احصاءات متعددة اطلقتها منظمة الصحة العالمية

والثاني: مازالت الابحاث عمومًا تربط حالة عدم المساواة الاقتصادية داخل الدول بعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والقدرة على انفاذ القانون والحكم الرشيد، بما في ذلك دور الانقلابات السياسية والانهيار الديمقراطي والصراع الأهلي. اذ تشير الأبحاث إلى أن زيادة عدم المساواة تعيق النمو الاقتصادي واستقرار الاقتصاد الكلي، فضلاً من ان عدم المساواة في ملكية الارض ورأس المال البشري تحديداً يقلل من النمو، أكثر من عدم المساواة في الدخل نفسه. ويحتل موضوع (عدم المساواة ) مركز الصدارة في نقاش السياسة الاقتصادية في جميع أنحاء العالم اليوم ، اذ أن سياسات الضرائب والإنفاق الحكومي لها تأثيرات كبيرة على توزيع الدخل.

ففي الاقتصادات المتقدمة ، تقلل الضرائب والتحويلات الحكومية من طرف واحد (كالرعاية الاجتماعية ) من حالة اللامساواة في الدخل بمقدار الثلث ، ويتم تحقيق معظم ذلك من خلال الإنفاق الاجتماعي العام (مثل معاشات التقاعد والمزايا التي تحصل عليها الأسرة على الدوام ).

## مراجع البحث ومصادره

1. Paul Le Blanc and Helen C. Scott(2010)"Rosa Luxemburg: Socialism or Barbarism: Selected Writings", Published by: Pluto Press.
2. Ian Angus (2014 ) The origin of Rosa Luxemburg's slogan 'socialism or barbarism' https://climateandcapitalism.com/
3. "أربعة محاور هامة في عمل روزا لوكسمبورغ الفكري" ، اعداد وترجمة رشيد غويلب /ايلول – 2021 الحزب الشيوعي العراقي
4. István Mészáros(2001)" Socialism or Barbarism - From the "American Century" to the Crossroads, " Monthly Review Press.

5. Peter Hudis and Kevin B. Anderson,(2004)"The Rosa Luxemburg Reader" . * Monthly Review Press.

6. Luxemburg, Rosa (1951). The Accumulation of Capital. Monthly Review Press .

7 -Thomas Piketty (2014)"Capital in the Twenty-First Century", Harvard University Press

8. Thomas Piketty (2022)"A Brief History of Equality" Harvard University Press.

9- سلامة كيلة: الاشتراكية او البربرية. الحوار المتمدن / 2004

10. Samir Amin and other . "(2010) . Ending the Crisis of Capitalism or Ending Capitalism"? Pambazuka Press.

11. Samir Amin( 1974)"Accumulation on a World Scale: A Critique of the Theory of Underdevelopment"New York: Monthly Review Press.

12-العولمة وبدائلها، مقابلة مع سمير امين The tri Continental . org . October 2018 29

13. Andy Higginbottom . (2014) . Imperialist rent' in practice and theory

Globalizations, February 2014 Vol.11 No.1, P23

14 . Ventura, Luca. "(2022 ) . World Wealth Distribution And Income Inequality " Global Finance Magazine.

15- حاتم بشر: معالجة سمير أمين لأزمة الرأسمالية العالمية. الحوار المتمدن ٢٠١٨

(*) باحث اقتصادي أكاديمي، مستشار رئاسة الوزراء للشؤون المالية

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة الى المصدر. 21 شباط 2023

شبكة الاقتصاديين العراقيين – Iraqi Economists Network